

## الدين والتحديات الحداثية

(من العلمانية إلى ما بعد العلمانية)

**Religion and the challenges of modernism  
(from secularism to post-secularism)**ط د نبيل درار<sup>1</sup>

جامعة مصاريك - الجمهورية التشيكية - (Masaryk University)

derdar@mail.muni.cz

تاريخ الاستلام: 2021/06/05 تاريخ القبول: 2021/11/29 تاريخ النشر: 2021/12/30

**ملخص:** لقد شكلت الحداثة من خلال بنيتها السياسية تحديات كبيرة للدين، خاصة في العالم الغربي، حيث تعتبر العلمانية المنظومة أو المشروع الحداثي في المجال السياسي، والتي رأت في الدين البرادغم الذي يجب تهيئده من الفضاء العام، بل وراحت تعد بأنه سيختفي تلقائيا بسبب عملية التحديث والعلمنة المستمرة في المجتمع، إلا أنه وعكس جميع التوقعات استمر الدين بل وتوسع في عدة مناطق في العالم، ما دفع إلى إعادة التفكير في السرديات العلمانية وطرح مشروع ما بعد العلمانية.

**الكلمات المفتاحية:** الدين، الحداثة، العلمانية، غروب الدين، ما بعد العلمانية

**Abstract:** Modernity, through its political structure, has posed big challenges to religion, especially in the Western world, where secularism is considered the modernist system or project in the political field. In society, however, contrary to all expectations, religion persisted and even expanded in several regions of the world, which prompted a rethinking of secular narratives, and pose a post-secular project.

**Keywords :** Religion, Modernism, Secularism, Decline of Religion, Post-Secularism.

<sup>1</sup> - الباحث المرسل

**مقدمة:**

لقد اعتبرت الحداثة هي الرحم الاجتماعية والسياسية للعلمانية، وبما أن العلمانية هي دعوة إلى الاعتماد على الواقع الذي تدركه الحواس ونبت كل ما لا تؤيده التجربة والتحرر من العقائد الغيبية التي تحول بينه وبين الوصول إلى أحكام موضوعية محايدة، فمنتجات الحداثة كانت سمتها الأبرز الأخذ بنسق ما وجعله معيارا عاما ومحاوله تعميمه، بحيث يتلاشى الإنسان فيه في حتمية كونية، وبما أن النظرية العلمانية قد استطاعت الارتقاء إلى وضعية نموذجية حقيقية ضمن العلوم الاجتماعية الحديثة، فقد وجب دراسة علاقتها بالأديان وخصوصا الأديان السماوية.

فهل شكلت الحداثة منذ ظهورها تحديا للأديان وبالخصوص الأديان السماوية؟ ما حقيقة نبوءة غروب الدين في المجتمع العلماني؟ وما هي طبيعة عودة الدين في المجتمع ما بعد علماني؟  
ومنه تحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذه الإشكالات انطلاقا من ثلاثة محاور رئيسة:

- تحدي الحداثة للأديان السماوية.

- نبوءة غروب الدين في المجتمع العلماني.

- حاضرة الدين في المجتمع ما بعد العلماني.

**بنية البراديعم العلماني:**

تستند العلمانية في بنيتها الفلسفية على الحداثة، فهي النظرية السياسة للحداثة الغربية.

يقوم براديجم العلمنة على ثلاثة أبعاد كما يحددها "أوليفي تشانن في مقاله The Autonomization :Secularization Paradigm في هذا السياق تأتي بمعنى التحييد، حيث يفصل بين الديني واللا ديني ويكون هنالك انفصال تدريجي بين الديني والسياسي.

- Privatization خصخصة الديني، بحيث يخرج الدين من دائرة الفضاء العام ليدخل في الفضاء الخاص.

- Rationalization عقلنة الحياة، أي الاعتماد على العقل وحده في تسيير شؤون الفضاء العام وحتى الخاص بعيدا عن التوجيهات الدينية (olivier, Dec., 1991).

والعقل في سياق الحداثة الغربية له مدلول فلسفي خاص، بحيث يتم حصره في "المادة"، فبغض النظر عن التيارات الفلسفية التي تختلف في كونه مصدرا ذاتيا للمعرفة أو مجرد آلة عاكسة تخضع للحس الخارجي، إلا أنهم يتفقون في تحييد ما وراء الطبيعة وكل ما يقع خارج المادة، وأن العقل هو الحاكم والمرجع الوحيد في تسيير شؤون هذا العالم.

ونتيجة لذلك يؤكد Daniel Bell ,The cultural contradictions of capitalism بأنه على المستوى المؤسساتي نلاحظ أن العلمانية قد قلصت دور الدين في مختلف مؤسسات المجتمع، وعلى المستوى الثقافي قامت كذلك بتقليل دور الدين وإضعاف الاعتقاد الديني بإبعاد كل ما هو ماورائي وغيبوي عن مركز الحياة الإنسانية وإحلال العقل محله (Bell, 1978).

نبوءة غروب الدين في المجتمع العلماني:

فقد أصبحت نظرية العلمنة في العصر الحديث نموذج اجتماعي صلب، وقد لقيت النظرية قبولا من طرف أغلبية علماء الاجتماع والفلاسفة بحيث لم تعد قابلة للتشكيك ولم يعد هناك حاجة للتحقق من صدق النظرية، فكما ذكر ايقونة علم الاجتماع الحديث "خوسي كازانوف" في كتابه *Public religions in the modern world* بأن النظرية قد أصبحت مقدمة مسلم بها من طرف الجميع تقريبا، باستثناء دوتوكفيل و بارتو وويليم جيمس، فإن بقية الأباء المؤسسين لعلم الاجتماع كماركس وسبنسر وأوغست كومت وفير و دوركايم وسيميل وفريزر وفرويد قد صادقو على النظرية.

فقد ظل علماء الاجتماع والمفكرون الغربيون لقرون يعدون بنهاية الدين لحساب العلمانية، وقد كانوا واثقين بأنه بعد عقود قليلة ستتجاوز البشرية جميع المعتقدات الدينية والميتافيزيقية (Casanova, 1994).

على سبيل المثال بين عالم الأنثروبولوجيا اللامع " Anthony F.C. Wallace " للآلاف من الطلاب الجامعيين الأميركيين أن المستقبل الارتقائي للدين هو الانقراض.

كما أعلن "أوغست كونت" من خلال نظريته حول المراحل الثلاث أن المجتمع البشري قد مر خلال مساره بالمرحلة الثيولوجية وهي مرحلة المعتقدات الدينية المحضة الخالية من أي تدخل عقلي وبعدها بالمرحلة الميتافيزيقية التي تميزت بادخال العقل التجريدي على العقائد الدينية، وأخيرا كنتيجة حتمية للحداثة تصل البشرية إلى المرحلة الوضعية التي ستتجاوز فيها البشرية العقائد الدينية وستحل محلها العلوم التجريبية بمنهجيتها العلمية الخاصة وستكون أساس الأحكام الأخلاقية (Bourdeau, 2008).

ويوضح "رودني ستارك" في مقاله Secularization, R.I.P بأنه بالرغم من أن عملية العلمنة تتمركز داخل العالم المسيحي الغربي، إلا أن أصحاب هذه النظرية يقومون بتوسيعها لتشمل العالم كله، فليس المقصود من العلمنة أنه سيتم القضاء على المسيحية فحسب، بل ستشمل العملية جميع المعتقدات الدينية في جميع أنحاء العالم، وبالتالي ستموت تلك العقائد وستصبح مجرد ذكرى تاريخية لمرحلة خلت قد مرت بها البشرية خلال مسارها (Stark, Autumn, 1999).

وفي سنة 1968 صرح عالم الاجتماع "بيتر بيرغر" لنيويورك تايمز بأن المؤمنين بالديانات خلال القرن 21 سيصبحون مجرد أقليات تحاول مقاومة الثقافة العلمانية التي ستكتسح العالم (Berger, A bleak outlook is seen for religion, 1968).

### فشل نبوءة غروب الدين:

بعد سنوات تراجع عن إيمانه هذا معلنا عن نظريته الجديدة (the )  
desecularization of the world) أعلن أن فرضية أننا نعيش في عالم معلمن هي فرضية خاطئة، فالعالم اليوم لا يزال يتقد بالعاطفة الدينية، وفي بعض الأماكن لربما زاد اتقاد هذه العاطفة. هذا يعني أن جميع ما كتبه علماء الاجتماع والتاريخ حول ما يسمى بنظرية العلمنة هو خاطئ في جوهره، الفرضية القائلة بأن الحداثة تؤدي بالضرورة إلى تراجع دور الدين هي بالمبدأ خالية من القيم، إلا أنه يستثني أوروبا الغربية من ذلك (Berger, the desecularization of the world  
aglobal over view resurgent religion and world politics, 1999).

فلا شك أن الحداثة ترافقت مع توجهات واضحة نحو العلمنة، وفي أماكن معينة أكثر من غيرها، ولكنها أيضا استفزت حركات قوية مضادة للعلمنة، كما أن

علمنة المجتمع لا تعني ضرورة علمنة الأفراد، بالرغم من خسارة بعض المؤسسات الدينية لقوتها وتأثيرها على الأفراد والمجتمع إلا أنه قد ظهرت معتقدات جديدة كما استمرت بعض المعتقدات القديمة لتلعب دورا في حياة الأفراد بل وتتخذ شكل مؤسسات أحيانا، فمن هذه الناحية تبرز العلاقة المعقدة للدين مع الحداثة. بالرغم من تأكيد بيرغر على أن عالم اليوم بعيد عن العلمنة وهو عالم متدين بشكل هائل إلا أنه يضع استثناءات لنظريته هذه إذ يضع أوروبا الغربية ضمن خانة الاستثناء بحيث تبقى نظرية العلمنة هناك راسخة وهي ملازمة لعملية التحديث، خاصة على مستوى المؤسسات الدينية من حضور الطقوس التعبديّة، والالتزام بالسلوكيات التي تملئها الكنيسة (خاصة المتعلقة بالزواج والإنجاب والأمور الجنسية)، إضافة إلى أعداد الراغبين في الانضمام لسلك الكهنوت.

### مشروع ما بعد العلمانية:

وقد لحقه الكثير من علماء الاجتماع والفلاسفة، وعلى رأسهم "هابرماس" صاحب نظرية ما بعد العلمانية، فقد حدد ثلاثة ظواهر لنهوض الدين في العالم: التوسع التبشيري للأديان الكبرى في العالم - توسع الأصولية - الاستغلال السياسي لإمكانيات الدين العنيفة (Habermas, Qu'est-ce qu'une société post-séculière ?, 2008).

انطلاقا من هذه المقاربة يحاول صياغة مفهوم جديد تتمكن من خلاله من فهم وتوصيف المجتمعات المعاصرة والأهم من ذلك محاولة إيجاد حلول لمعضلة العلمنة والدين في الفضاء العام عبر طرحه لنظرية ما بعد العلمانية.

يحتج هابرماس على ضرورة التوجه نحو المجتمعات ما بعد العلمانية من

خلال بنية العلمانية ذاتها، فالحرية التي هي جوهر العلمانية تفرض على

الدولة الليبرالية السماح للجماعات الدينية ممارسة طقوسها الدينية ضمن الفضاء العام، كما أن المواطن العلماني عليه أن يقوم بتغيير ذهنيته الإقصائية. فالجتمعات ما بعد العلمانية هي المجتمعات القادرة على التخلص من الأزمة الحداثية بفتح الفضاء العام لكل الأفراد للدخول في نقاش يخص الجميع. لا يتوقف الأمر بمجرد فتح الفضاء العام، بل والاعتراف بالأفراد المتدينين كنسيج موجود في المجتمع ولا يمكن هدره. فالمجتمع ما بعد العلماني مجتمع متغير ودائم الحوار، وليس ذا صبغة أيديولوجية واحدة.

ينتقل هابرماس من سؤال لماذا لا يمكننا أن نسمي المجتمعات المعلمنة مجتمعات ما بعد علمانية؟ ففي هذه المجتمعات يحافظ الدين على تأثيره العام وأهميته بينما تخسر نقطة اليقين العلمانية السابقة يقينيتها بكون الدين سيختفي على مستوى العالم. إلى سؤال كيف علينا أن نرى أنفسنا كأعضاء في مجتمع ما بعد علماني؟ وماذا علينا أن نتوقع من بعضنا البعض لتؤكد من أنه وفي دول أممية عميقة الجذور تظل العلاقات الاجتماعية مدنية وحضارية رغم نمو تعددية الثقافات ووجهات النظر الدينية؟

- يضع هابرماس شروط لكل من العلمانيين والمتدينين للدخول في حوار عقلاي ضمن الفضاء العام ما بعد العلماني:
- هل العلمانيون قادرون على التسامح وإجراء حوار صادق مع الطرف الديني بالرغم من مرور عدة أجيال دأبت على ازدياد الدين؟
- هل يستطيع العلمانيون تقبل أن كثيرا من الثوابت العلمانية مستمدة من الدين؟ وهل يستطيعون تقبل ذلك في الفضاء العام؟

- هل الطرفان مستعدان للاعتراف بأن التسامح هو دائما ذو اتجاهين؟  
(Habermas, *Between Naturalism and Religion: Philosophical Essays*, 2008)  
لكن من خلال النموذج ما بعد العلماني فإن الدين في المجتمع بعد العلماني ليس هو ذاته في مجتمع قبل العلماني، وعودة الدين ليست رجوعا إلى شيء كان من قبل، فحين نفكر في القبل كحكاية رمزية، نرى الدين الذي يفترض أنه عائد قد تغير كذلك.  
المصادر والمراجع:

- Bell, D. (1978). *The cultural contradictions of capitalism*. New York, USA: Basic Books Inc.
- Berger, P. (1968, 04 25). A bleak outlook is seen for religion. *New York Times* .
- Berger, P. (1999). *the desecularization of the world aglobal over view resurgent religion and world politics*. Michigan, U.S.A: Berger.L.P the desecularization of the world aglobEthics and ublic policy center, Washington, DC, William B. Eerdmans Publishing Company Grand Rapids.
- Bourdeau, M. (2008, 10 1). *Auguste Comte*. Retrieved 03 17, 2020, from Stanford Encyclopedia of Philosophy: <https://plato.stanford.edu/entries/comte/>
- Casanova, J. (1994). *Public religions in the modern world*. Chicago, U.S.A: The University of Chicago Press.
- Habermas, J. (2008). *Between Naturalism and Religion: Philosophical Essays*. (C. Cronin, Trans.) UK: Polity Press.
- Habermas, J. (2008). Qu'est-ce qu'une société post-séculière ? *Le Débat* , 5 (152), p5.
- olivier, t. (Dec., 1991). The Secularization Paradigm: A Systematization. *Journal for the Scientific Study of Religion* , 30 (04), 395-415.
- Stark, R. (Autumn, 1999). Secularization, R.I.P. *Sociology of Religion* , 60 (03), 249 .